

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس ٤ : التابعي النجاشي .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-١٢-١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الأستاذ جمال

إنه النجاشي، كان ملك الحبشة، لكن علماء المسلمين عدوه من التابعين، فقد توج على مملكة الحبشة، و بُويع بالملك، و دعى بالنجلاني، فراس البلاد بالحنكة و الحكم، و أراح العباد من الضطرب و الفوضى، و ملأ الحبشة عدلاً و خيراً، بعد أن امتلأت ظلماً و شراً، و لكن لم يكُن النجاشي يستقر على كرسي ملكه حتى بعث الله نبيه محمد صلوات الله عليه بدين الهدي و الحق، و أخذ المهديون السابقون إلى الإسلام يستجيبون واحداً إثر آخر، فهبت قريش تلحق بهم الأذى، و تنزل بهم الضر، فلما ضاقت عليهم مكّة بما رحبت، و أنزل بهم المشركون من الأذى ما يزيل لشم الصالب، قال لهم النبي عليه الصلاة و السلام: إن في أرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا بيبلاده، ولوذوا بحماء، حتى يجعل الله لكم فرجاً، و يهيء لكم من ضيقكم مخرجاً فمضى ركب المهاجرين الأولين إلى أرض الحبشة و كانوا ثمانين بين رجال و نساء، فتدوّقوا لأول مرة طعم الأمن و الاستقرار، الأستاذ جمال نعمة الأمن ما بعدها نعمة، قال تعالى:

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٤)

[قريش]

لسورة

و تمنع هؤلاء الصحابة الكرام بحلوة التقى و العبادة من دون أن يعكر صفو عبادتهم معكّر، و دون أن يذكر حلاوة إيمانهم مذكر، لكن قريشاً ما كادت تعلم برحيل هذا النفر الثمانين من المسلمين إلى أرض الحبشة واستقرارهم فيها حتى هبّ تأمر بهم لقتلي عليهم، أو تستردهم إلى مكّة، فأرسل قريش إلى النجاشي رجلين من أعزاز رجالها ذكاء و حنكة، هما عمرو بن العاص و عبد الله بن أبي ربيعة، و بعثت معهما بهدايا و فيرة للنجاشي و بطارقة، مما كانوا يستطرفونه من أرض الحجاز، فلما قدموا الحبشة بادراً إلى لقاء البطارقة قبل أن يلقوا النجاشي، و دفعاً إلى كل طريق هديته و قال له: إنه قد حل بأرضكم غلمان من سفالئنا صبّوا عن دين آبائهم و أجدادهم، و مزقوا كلمة قومهم، فإذا كلّمنا الملك فأشيروا عليه- مقابل هذه الهدايا - بأن يسلمهم إلينا دون أن يسألهم عن دينهم، فإننا أشرف قومهم أبصرُ بهم، و أعلم بما يدينون، دخل عمرو بن العاص و عبد الله بن أبي ربيعة على النجاشي و سجداً له، كما يسجد له قومه، فرحب بهم النجاشي أجماً ترحيب لما كان بينه و بين عمرو بن العاص من وُدّ سابق، ثم قدموا له الهدايا مشفوعة بالتحيات من كبار رجال مكّة، وعلى رأسهم أبو سفيان، زعيم قريش، فاستطرف هداياهم و أعجب بها، ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قد أوى إلى مملكتك نفر من أشرار غلماننا، قد فارقوا

ديننا، و لم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين لا نعرفه نحن، و لا تعرفه أنت، و قد بعثنا أشرافاً قومنا يسألونك أن تردهم إليهم، فهم أعلم بما ابتدعوه من دين و ما أحدهو من فتنة، فنظر النجاشي إلى بطارقته فقالوا: صدقاً أيها الملك فإننا لم نقف على دينهم الذي استحدثوه، و إن قومهم أدرى بهم منا، و أعلم بما ابتدعوه، فقال النجاشي: والله لا أسلمهم لأحد حتى أسمع كلامهم أرأيت إلى الإنصاف - هذا يا فضيلة الشيخ هذا هو الفعل النبيل الذي قام به النجاشي، و يبدو لي من خلال هذا الموقف الرجولة، استطاع النجاشي أن يكتب اسمه بين المؤمنين، و أن يكون تابعاً صالحاً - فقال: لا والله لا أسلمهم لأحد حتى أسمع كلامهم، وأقف على عقيدتهم، فإن كانوا على شر أسلتمهم لقومهم، وإن كانوا على خير حميّتهم وأحسنت جوارهم ما داموا في بلادي، ثم أردف يقول: إني والله لا أنسى فضل الله علي، فلقد رددني إلى أرضي و حمانني من كيد الكاذبين لي، و صانني من بغي الباغين علي، فدعا النجاشي الصحابة إلى لقاء بنى قومهم عنده، فأوجسوا خيسفة من ذلك، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون له إذا سألكم عن دينكم؟ فقال: مقدموهم: نقول: ما قال الله عزوجل في كتابه، و نعلن ما جاءنا به النبي عليه الصلاة و السلام عن ربه، ثم مضوا إليه، فوجدوا عنده عمرو بن العاص، و عبد الله بن ربيعة، و ألقوا بطارقته جالسين عن يمينه و عن شماله، وقد اعتنروا قلائلاً، و نشروا كتبهم بين أيديهم، فحيوه بتحية الإسلام، و جلسوا حيث انتهى بهم المجلس، فالتفت إليهم عمرو بن العاص و قال: مالكم لا تسجدون للملك؟ أراد أن يحرجهم، فقالوا: إننا لا نسجد إلا لله، فهز النجاشي رأسه إعجاباً لما قالوه، و نظر إليهم في رفق و قال: ما هذا الذي استحدثتموه فيكم من دين، و فارقتم بسيبه دين قومكم، و لم تدخلوا في ديني؟ فاستأنفه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، و كان رئيس القوم، و قال: أيها الملك إننا لم نستحدث لأنفسنا ديناً وإنما جاءنا محمد بن عبد الله من عند ربه بدين الهدى والحق، و أخرجنا من الظلمات إلى النور، فلقد كنا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام و نقطع الأرحام، و نأكل الميتة، و نأتي الفواحش و نسيء الجوار، و يبطش القوي منا بالضعف، و قد بقينا على حالنا تلك حتى بعث الله إلينا رجلاً نعرف نسبه، و نثق بصدقه و أمانته، و عفته، فدعانا إلى الله و أمرنا أن نعبده و أن نوحده، و حثنا على إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم رمضان، و أن نخلع ما نعبده من الحجارة و الأوثان، كما أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و حسن الجوار، و الكف عن المحارم، و صون الدماء، و نهاانا عن إتيان الفواحش و قول الزور و أكل مال اليتيم، فصدقناه و آمنا برسلاته، واتبعنا ما جاء به، وجعلنا نعبد الله وحده لا شريك له، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فما كان من قومنا إلا أن عدوا علينا وأنزلوا علينا أشد العذاب، ليفتوننا عن ديننا و يردونا إلى عبادة الأوثان، بعد أن عبdenا الواحد الديان، فلما قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا، و حالوا علينا و بن ديننا رغبنا في اللجوء إلى جوارك والإقامة في ديارك، و اخترناك على سواك ورجونا أن لا نُظلم عندك، فقال له النجاشي: هل معك شيء مما جاء به نبيكم عن ربكم؟ قال: نعم قال: فاقرأه على، فقرأ عليه صدراً من سورة مرثيم، و كان مما قرأه قوله عزوجل:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذَا اتَّبَعْتَ مِنْ أَهْلَهَا مَكَانًا شَرَقِيًّا (١٦) فَاتَّخَدْتَ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَا هُبَّ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسِسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أُكَلْ بَغْيًا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنَ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلْتُهُ فَاتَّبَعْتَ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَجَاءَهَا الْمُخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَاتَ يَا لَيْتَنِي مِتْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾

[سورة مریم]

فبكى النجاشي حتى احضرت لحيته، وبكى أسفافته حتى بللوا مصافهم، حين سمعوا ما ثلي عليهم، وهنا التقى النجاشي إلى عمرو بن العاص و صاحبه و قال: إن هذا الذي ثلي علينا فلدي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم قال لهم: والله لا اسلمهم إليكما أبداً، ولا أحمل على ذلك ما حبيت، ثم نهض قائماً ونهض من كان معه، وانقض الم مجلس.

خرج عمرو بن العاص وهو يتميز من الغيظ، ثم قال لصاحبه: والله لأفقين النجاشي غداً و لأحدثه عنهم حديثاً يجث شجرتهم، و يقضي عليهم فقال له صاحبه و كان أرق منه قلباً: لا تفعل يا عمرو، فإن لهم فينا أرحاماً، فقال: والله لأخبرنه أنهم قالوا في عيسى بن مریم شيئاً و كتموا شيئاً، وأنهم ينالون منه، و يقولون إنه عبد، فلما كان الغد دخل عمرو على النجاشي فقال: أيها الملك، لقد أسمعوك بالأمس و أخفاوا عنك شيئاً آخر فهم يقولون في عيسى بن مریم أنه عبد، فدعاهم النجاشي وقال: ما تقولون في عيسى بن مریم، فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه ما جاءنا به النبي عليه الصلاة و السلام، فقال: ما الذي جاءكم به؟ فقال جعفر: إنه عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مریم وروح منه، فقال النجاشي: والله ما حرج عيسى عما قلت قيد أنملة، فتاخر البطارقة من حوله مستكرين قوله، فنظر إليهم شزراً وقال: وإن تتأخرتم، ثم قال لعمر و من معه: اذهبو أنتم آمنين في أرضي، من مال منكم غرم، ومن منكم غرم، من نال منكم غرم، من مال منكم غرم، أعادها تأكيداً، هذا هو النجاشي، و ما أطاع الناس في أمري حتى أطيعهم في أمرهم، هذا هو النجاشي الذي عذّهم بعض المسلمين تابعياً جليلاً. لاحظ فضيلة الشيخ، استطاع النجاشي أن يعلمنا من خلال أعماله وأقواله كيف أن الإسلام يجب عندما تأتيه مظلمة، أو يأتيه شاك عليه أن يسمع الطرفين ليتأكد، وهناك دليل من القرآن الكريم، ونستشف فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي من النجاشي التابعي الجليل كيف أن موضوع الطرح الذي طرحة الصحابة أمم النجاشي، الأسلوب، طريقة الكلام، طريقة الإيضاح و التعليم - هو أنه يقول عليه الصلاة و السلام يقول: إذا كنتم ثلاثة فأمرروا أحدكم، وهذا مبدأ عام في الوجود، يجب أن ننتقي من الوفد أفضحهم، وأعلمهم و أحکمهم و أکملهم، وأشدهم ورعاً، ليكون رئيساً لهذا

الوَفْدُ، وَلَيَتَكَلَّمُ، فَإِنَّ إِنْسَانًا يَسْمَعُ إِلَى كَلَامٍ مُنْطَقِيًّا وَاقِعِيًّا، مَدَّلَ بِالْأَدْلَةِ وَالشَّوَاهِدِ الْمُعْتَدِلَةِ الْحَكِيمَةِ،
هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ جَعْفُرُ.

في الواقع لا يسعنا أيها الأعزاء، أيها الإخوة الكرام، إلا أن نقول: رحم الله النجاشي التابعي الجليل، أهلاً ومرحباً بسماحة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق، وخطيب جامع النابلسي في دمشق ن أيضاً المدرس الديني في مساجد دمشق، نشكركم فضيلة الشيخ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إلى الملتقى إن شاء الله، شكرنا الأستاذ جمال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ